عن ابن عباس قوله كان الناس امة واحدة يقول كانوا كفارا فبعث
الله النبيين مبشرين ومنذرين واولى التاويلات في هذه الاية بالصواب
ان يقال ان الله عز ذكره اخبر عباده ان الناس كانوا امة واحدة على دين
واحد وملة واحدة ٭ كما حدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو
ابن حماد قال حدثنا اسباط عن السدي كان الناس امة واحدة يقول دينا
واحدا على دين ادم فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وكان
الدين الذي هو عليه دين الحق كما قال ابي بن كعب وكما حدثني موسى بن
هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا اسباط عن السدي قال هي في
قراءة ابن مسعود اختلفوا فيه على الاسلام واختلفوا في دينهم فبعث الله
عند اختلافهم في دينهم النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب
ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه رحمة منه جل ذكره بخلقه واعذارا
منه اليهم وقد يجوز ان يكون ذلك الوقت الذي كانوا فيه امة واحدة
من عهد ادم الى عهد نوح عليهما السلام كما روى عكرمة عن ابن عباس
وكما قاله قتادة وجائز ان يكون الله عز ذكره عنى بالامة ادم صلى الله عليه
وجائز ان يكون كان ذلك الحين عرض على ادم خلقه وجائز ان يكون كان
ذلك في وقت غير ذلك ولا دلالة من كتاب الله ولا خبر يثبت به حجة
على اي هذه الاوقات كان ذلك فغير جائز ان نقول فيه الا ما قال الله عز
وجل من ان الناس كانوا امة واحدة فبعث الله فيهم لما اختلفوا الانبيا
والرسل ولا يضرنا الجهل بوقت ذلك كما لا ينفعنا العلم به اذا لم يكن
العلم به لله طاعة غير انه اي ذلك كان فان دليل القران واضح على
ان الذين اخبر الله عنهم انهم كانوا امة واحدة انما كانوا امة واحدة
على الايمان ودين الحق دون الكفر بالله والشرك به وذلك ان الله جل
وعز قال في السورة التي يذكر فيها يونس وما كان الناس الا امة واحدة

فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون فتوعد
جل ذكره على الاختلاف لا على الاجتماع ولا على كونهم امة واحدة ولو كان
اجتماعهم قبل الاختلاف كان على الكفر ثم كان الاختلاف بعد ذلك لم يكن الا
بانتقال بعضهم الى الايمان ولو كان ذلك كذلك لكان الوعد اولى بحكمه
جل ثناؤه في تلك الحال من الوعيد لانها حال انابة بعضهم الى طاعته
ومحال ان يتوعد في حال التوبة والانابة ويترك ذلك في حال اجتماع
الجميع على الكفر والشرك واما قوله فبعث الله النبيين مبشرين
فانه يعني انه ارسل رسلا يبشرون من اطاع الله بجزيل الثواب وكريم
الماب ويعني بقوله ومنذرين ينذرون من عصى الله فكفر به بشدة
العقاب وسوء الحساب والخلود في النار وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم
بين الناس فيما اختلفوا فيه يعني بذلك ليحكم الكتاب وهو التوراة بين
الناس فيما اختلف المختلفون فيه فاضاف جل ثناؤه الحكم الى الكتاب
وانه الذي يحكم بين الناس دون النبيين والمرسلين اذ كان من حكم من النبيين
والمرسلين بحكم انما يحكم بما دلهم عليه الكتاب الذي انزله الله عز وجل
فكان الكتاب بدلالته على ما دل وصفه من الحكم حاكما بين الناس وان
كان الذي يفصل القضاء بينهم غيره ٭

القول في تاويل قوله عز ذكره
وما اختلف فيه الا الذين اوتوه
من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم

يعني جل ثناؤه بقوله وما اختلف فيه وما اختلف في الكتاب الذي
انزله وهو التوراة الا الذين اوتوه يعني بذلك اليهود من بني اسرائيل
وهم الذين اوتوا التوراة والعلم بها والهاء في قوله فيه عائدة على الكتاب
الذي انزله الله من بعد ما جاءتهم البينات يعني بذلك من بعد ما

Copyright © King Saud University